



yehiattrakhawy@hotmail.com

نشرة " الإنسان 2020/10/25

السنة الرابعة عشرة - العدد: 4803

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

.....

.....

مادة البحث

مادة هذا البحث - وربما كل بحث يجري في مجال العلاج النفسي - مكونة من ثلاثة عناصر

اساسية:

1- المرضى والمترددون.

2- المعالج (والمعالجون المساعدون إن وجدوا)

3- الباحث نفسه.

ولنتحدث عن كل جانب من مادة هذا البحث على حدة:

أولاً: المرضى والمترددون:

بادئ ذي بدء، لابد لنا من وقفة عند تعبير "المرضى"، ففي الوقت الذي أجرى فيه البحث على هذه المجموعة كان عمرها قد بلغ ما يزيد عن عام ونصف لأغلب أفرادها، وكانت معظم الأعراض عند أغلبهم قد زال ... بحيث ينبغي مراجعة تسميتهم "مرضى"، وقد أشار الباحث إلى أن التشخيصات كانت قد تغيرت فعلا من خلال العملية العلاجية، وأكد أسمع رداً جاهزاً يقول أنهم ما داموا لا يزالون يترددون على العلاج فهم مرضى، ولن أتطرق هنا إلى مناقشة هذا الادعاء، ولكني أحيل القارئ إلى نظيرتي عن "مستويات الصحة النفسية على طريق التطور الفردي" وأقول إن مجرد التردد للعلاج لا يعني المرض بل قد يعني رؤية أعمق، أو أملاً أشمل، أو إصراراً أقوى على الحياة الأفضل على طريق التطور، ولهذا استعملت لفظ المترددين بجوار المرضى وبينهما حرف عطف لأحدد أن المتردد ليس مريضاً بالضرورة، وبالتالي أفتح باباً للتبادل بين صفتي المرضى والمترددين لأؤكد أنه طريق ذهاب وإياب، وفي هذه المجموعة بوجه خاص ذكر الباحث أن حضور بعض أفرادها كان بهدف التدريب، ولكن باقترابهم من "المأزق الوجودي العلاجي أو النمائي" ظهرت الأعراض لدرجة أنهم أعلنوا بأنفسهم رغبتهم في الانتقال إلى صفة المرضى حتى يمارسوا حقهم الطبيعي بكل أبعاده، وكان المرض أصبح حقاً اختيارياً مرحلياً في الطريق إلى التغيير الواعي.

ثم أنتقل بعد ذلك إلى التعريف بأفراد المجموعة، فبالإضافة إلى ما ذكر الباحث عنهم من معلومات - بعد أن استبدل أسماءهم - فهم بالنسبة لي من أقرب من عرفت، من حيث فضلهم على فكري، وعلى وجودي، وعلى علمي أيضاً، فهؤلاء الناس بكل سلبياتهم وإيجابياتهم وعدوانهم وظلمهم ومحاولاتهم وشقائهم وألمهم وهروبهم .. بشر بحق، وإذا كانت تعريفات الإنسان قد تنوعت بشكل مريبك بادئين من أنه حيوان ضاحك إلى أنه حيوان ناطق أو مفكر إلى آخره، فإنني هنا أحب أن أعلن أن هؤلاء الناس قد علموني أن

إن مجرد التردد للعلاج لا يعنى المرض بل قد يعنى رؤية أعمق، أو أملاً أشمل، أو إصراراً أقوى على الحياة الأفضل على طريق التطور

أن حضور بعض أفرادها كان بهدف التدريب، ولكن باقترابهم من "المأزق الوجودي العلاجي أو النمائي" ظهرت الأعراض لدرجة أنهم أعلنوا بأنفسهم رغبتهم في الانتقال إلى صفة المرضى حتى يمارسوا حقهم الطبيعي بكل أبعاده

إذا كانت تعريفات الإنسان قد تنوعت بشكل مريبك بادئين من أنه حيوان ضاحك إلى أنه حيوان ناطق أو مفكر إلى آخره، فإنني هنا أحب أن أعلن أن هؤلاء الناس قد علموني أن الإنسان ... هو الكائن دائم المحاولة الواعية إلى الرقى "معاً"، برغم وعيه الآنى بضرورة الاستقرار المرحلي.

هم جميعاً - تقريباً - قد قبلوا التعري أولاً أمام بعضهم البعض وأمام المعالج، وثانياً أمام

الباحث، قبلوه في شجاعة
وصراحة، وتفسيري أنهم وصلوا
إلى درجة من الصدق مع
أنفسهم، ولأنفسهم لم يعد
عندهم معما ما يخشونه من
رأى آخر،

أعلن شعوري أنهم هم الذين
قاموا بهذا البحث أساساً وفعلاً،
لأنهم واصلوا البحث الصادق
في داخلهم وخارجهم، ثم
ساهموا بالموافقة على تسجيل
ذلك وتوصيله دون تصنع أو
افتعال، ففضلهم على الباحث
وعلى وعلى العلم وللحقيقة
فضل مباشر ليس له جزء إلا أن
تنجح محاولتهم لهم

الاستجابة من جانبهم لدعوة
من جانبي تكاد تقول: "...
إنى مثلكم .. ولكنى مصر
على الاستمرار بلغة الواقع
دون التنازل عن أي جوهر
رأيته في نفسي، فهل نحاول -
يا جماعة - أن نمارس حياتنا
سويًا إلى غاية عمق وجودنا
بكل أبعادها المترامية، لنرى
الحكاية

قد نساهم في توجيه المسار من
خلال نجاح موقفنا العنيد ..
كعينة قادرة على التطور
بوعى وألم ودون تناثر أو
صراخ؟

ممما يكن من أمر اضطرابهم
لخوض هذه التجربة بسبب
أعراضهم، وممما يكن من أمر
وضعى بالنسبة لهم كطبيب
وظيفته الأساسية هي تخفيف
الألم وإزالة الأعراض، فإن هذه
وتلك كانتا الاتفاق الظاهري
فحسب

الإنسان ... " هو الكائن دائم المحاولة الواعية إلى الرقى "معاً"، برغم وعيه الآتى بضرورة الاستقرار
المرحلي."

ولكنى أقر هنا أن من حق هؤلاء المرضى أن يتصفوا بما هو يخصهم أكثر، بالإضافة إلى ما أورد
الباحث من مواصفات وتشخيصات.

1-هم جميعاً - تقريباً- في عناد عنيد ضد استسهال حل بذاته سواء كان هذا الحل حياة عادية
هامدة، أم مرض مزمن جائم، أم موقف انسحابي مقترح.

2-وهم جميعاً - تقريباً- قد قبلوا أن يستمروا في الحضور، وبالتالي في ممارسة المحاولة الموجّهة
في أن يقبلوا هذا العناد لمواصلة محاولة التغيير بكل ما يحمل من مخاطر وآلام.

3-وهم - جميعاً تقريباً- وربما يرجع ذلك جزئياً إلى تأثير العلاج، قد واصلوا احتكاكهم بالواقع والتكلم
باللغة السائدة، رغم مواصلتهم تعرية أنفسهم والتفاهم - مؤقتاً - بلغة خاصة أثناء العلاج في نفس الوقت.

4-وهم جميعاً - تقريباً- قد قبلوا التعرّى أولاً أمام بعضهم البعض وأمام المعالج، وثانياً أمام الباحث،
قبلوه في شجاعة وصراحة، وتفسيري أنهم وصلوا إلى درجة من الصدق مع أنفسهم، ولأنفسهم لم يعد
عندهم معما ما يخشونه من رأى آخر، أو فرجة آخر، أو تسجيل آخر، فضلاً عن إدراكهم لاتصال نفعهم
الشخصي بالنفع العام كما ذكرت.

لكل هذا فإنى أعلن شعوري أنهم هم الذين قاموا بهذا البحث أساساً وفعلاً، لأنهم واصلوا البحث
الصادق في داخلهم وخارجهم، ثم ساهموا بالموافقة على تسجيل ذلك وتوصيله دون تصنع أو افتعال،
ففضلهم على الباحث وعلى وعلى العلم وللحقيقة فضل مباشر ليس له جزء إلا أن تنجح محاولتهم لهم،
وهذا ما يضاعف ديني - وربما دين الباحث إذ يدرك حقيقة عطائهم - إليهم وإلى من هم مثلهم، فأنا لا
أعنى بوصفي لهم أشخاصهم، بقدر ما أعنى كل من "هم كذلك" سواء كانوا هؤلاء الناس أم أي ناس.
ولنا هنا وقفة، فهناك من سيقول: إذن هؤلاء نوع خاص من الناس، وبالتالي فهذا العلاج لا يصلح إلا
لأمثالهم.

والرد المباشر: ولم لا؟ .. والرد التالي: نحن لا نستطيع أن نجزم إن كانوا قد قدموا للعلاج بهذه
النوعية أم أن العلاج قد أسهم في كشف غطائهم فظهرت هذه الإمكانيات الإيجابية العنيدة؟ والرد الأخير:
إن أحداً لم يدّع أن هذا العلاج هو العلاج الأوحده، بل بالعكس إنى أقر وأعلن أن لكل نوع من العلاج نوع
من المتعالجين.

ثانياً: المعالج

ثم تنتقل إلى مادة البحث الثانية وهي "المعالج" نفسه: وأول ما نبحت هنا هو ما أشار إليه الباحث من
أن هناك وجه شبه بين المعالج وبين هؤلاء المرضى، وأنه مجرد فرد في المجموعة مع تميز خاص من
حيث فعالية دوره، ودرجة مسؤوليته في التغيير، واتجاهه ووضع المهني الذي يأخذ به أتعابه، وإنى إذ
أقره على ذلك .. أقره أيضاً على ما أشار من خلاف .. أضيف إلى هذا وذلك أنى كنت شبه متعاقد
معهم عقداً لم يعلن أبداً، وهو الاستجابة من جانبهم لدعوة من جانبي تكاد تقول "...: إنى مثلكم ..
ولكنى مصر على الاستمرار بلغة الواقع دون التنازل عن أي جوهر رأيته في نفسي، فهل نحاول - يا
جماعة - أن نمارس حياتنا سويًا إلى غاية عمق وجودنا بكل أبعادها المترامية، لنرى الحكاية .. بل وقد
نساهم في توجيه المسار من خلال نجاح موقفنا العنيد .. كعينة قادرة على التطور بوعى وألم ودون تناثر
أو صراخ؟" وقد سمعت استجاباتهم واحداً واحداً بالموافقة "من خلال فعل الحضور والاستمرار فيه"،
وعزوت هذه الموافقة - النسبية طبعاً- إلى ضغط داخلي مباشر أعلن بظهور الأعراض، وإجراء خارجي
مباشر هو محاولة المعالج الذاتية المهنية المستمرة.

ومهما يكن من أمر اضطرابهم لخوض هذه التجربة بسبب أعراضهم، ومهما يكن من أمر وضعى
بالنسبة لهم كطبيب وظيفته الأساسية هي تخفيف الألم وإزالة الأعراض، فإن هذه وتلك كانتا الاتفاق
الظاهري فحسب، أما العقد غير المعلن - حسب تصوري - فكان يتعلق بخوض هذه التجربة الكيانية،

ومن هنا جاء شعوري بالعرفان تجاههم، وإنني إذ أعترف بهذا البعد الذي لم ترد مناقشته في البحث بطريق مباشر (وإن كان الباحث قد أشار أنه بتطور المجموعة لم يعد المعالج إلا عضواً فيها) أقول إنني إذ أعترف بهذا البعد أقرر من وجهة نظري أنه موجود عند كل معالج رضى أم لم يرض، وعى به أم لم يع، فالعقد في العلاج النفسى بوجه عام والعلاج الجمعى بوجه خاص هو دائماً أبداً عقداً:

العقد الأول: عقد ما بين طبيب (أو معالج) - طرف أول - ومريض - طرف ثان - الأول يرتزق ويمتهن مهنة إنسانية (بالمرّة)، والثانى يشكو من أعراض مرضية أدت إلى أن يذهب إلى الأول ويريد أن يتخفف منها.

أما العقد الثانى: فهو العقد الأعمق غير المعلن بين إنسان وإنسان: الطرف الأول (المعالج) يعيش مرحلة وجود ناجحة نسبياً وبالتالي فله تصور لأبعادها، وسلوكه إنما يمثلها ويبررها حتى ولو ضعفت درجة وعيه بها، والطرف الثانى (المريض) يبحث عن مثل هذا التصور، فينتقى من المعالجين من هو أقرب إلى تصوره ليحققاً معاً مرحلة إيجابية مشتركة - وليست متماثلة بالضرورة - بصورة ما. هذا، ولا يوجد حد فاصل بين العقد الأول والعقد الثانى، لأن العقد الأول هو الديباجة التمهيدية للعقد الثانى، ولأن العقد الثانى هو الوسيلة الفعلية لتحقيق أهداف العقد الأول (زوال الأعراض .. والاسترزاق). ولا بد أن أعترف أنى سمعت مثل هذا التفسير - فى سياق آخر - لطبيعة العلاقة بين المريض والطبيب فى موقف العلاج النفسى أول ما سمعته من أستاذنا المرحوم الدكتور يوسف حلمى جنيحة أستاذ الأمراض العصبية بكلية طب قصر العينى، حيث كان يقول - ناقداً أو ساخرًا - ما معناه "إن الطبيب (المعالج) النفسى ينتقى من مرضاه من يماثلونه، ليرى نفسه فيهم بالساعات الطوال ويبرر وجوده من خلالهم"، وقد رفضت هذا القول الذى قيل هجوماً على العلاج النفسى سنين طويلة، ولكنى فى النهاية وصلت إلى نفس النتيجة مع تحوير بسيط فى العبارة الأخيرة إذ لا بد أن تتعدل - فى بعض الأحيان - من " .. ويبرر وجوده من خلالهم" إلى " .. ليرى نفسه فيهم بالساعات الطوال ويبرر وجوده من خلالهم" - تغييره إن لزم الأمر" وقد قلت "فى بعض الأحيان" لأنى مازلت أتصور أن كثيراً من العلاجات يصدق عليه كلام أستاذنا الدكتور جنيحة، وأمل - متحيزاً - أن هذا النوع قيد البحث يصدق عليه التحوير الذى اقترحتُه.

وأختم هذه النقطة التى ينبغى أن تتضح عند كل ممارس للعلاج النفسى، وكل باحث فيه بأنه "إذا كان الأمر كذلك، وهو عندى كذلك، فإن درجة الوعى التى يتم فيها هذان الاتفاقان ضرورة لازمة لتأمين المسار، والتقليل من المضاعفات، وتأكيد الاختيار".

فإذا كانت هذه هى العلاقة بين مادتى البحث الأساسيتين (المريض والمعالج) فإن موقف الباحث يزداد صعوبة فوق الصعوبات القائمة فعلاً، لأن المعالج هنا هو المشرف على الباحث أيضاً، وهو أستاذ له، ثم هناك علاقتهما العاطفية التى جعلت الباحث يشكره فى مقدمة بحثه باعتباره والده الروحى (!)، ولنا أن نتصور كيف يقوم باحث بعمل بحث مادته (أو ضمن مادته)، والده الروحى ... ليرى عن ضعفه واحتياجه وخطئه والتوائه.. الخ.، وقد ناقشت هذه النقطة سابقاً فى عجالة ولكنى أعود إليها هنا بتفصيل لازم:

فقد كنا أمام ثلاث اختيارات: إما أن يقوم بالبحث أحد تلاميذ صاحب المدرسة الناشئة الداعية لفكرة "الطب النفسى التطورى" والمساهمة فى تطبيق هذه الدعوة فى المجالات المتعلقة بهذا الفرع ومن بينها مجال العلاج النفسى الجمعى، وإما أن يقوم بهذا البحث أحد المنشقين عنها لأن عنده فرصة أعمق ومشاركة أطول لمعرفة عيوبها ونقائصها، وبالتالي فإن موقف المعارضة منها هو موقف يقظ يتيح له أن يحدد ما عليها أكثر مما يحدد ما لها، وأخيراً فالاحتمال الثالث أن يقوم بالبحث باحث "آخر" ليس إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء مما يمكن أن يطلق عليه - افتراضاً - باحث موضوعى.

أما الافتراض الأول: وهو الذى تم فعلاً - فهو يضعنا فى موضع خاص إذ هو أقرب إلى "عرض" ما يجرى من وجهة نظر مشتركة تقريباً (مشتركة بين الباحث والمعالج)، وإلا ما انضوا سوا تحت لواء هذه

العقد غير المعلن - حسب
تصورى - فكان يتعلق بخوض
هذه التجربة الكيانية، ومن هنا
جاء شعورى بالعرفان تجاههم،
وإنني إذ أعترف بهذا البعد
الذى لم ترد مناقشته فى
البحث بطريق مباشر

إنني إذ أعترف بهذا البعد
أقرر من وجهة نظري أنه
موجود عند كل معالج رضى أم
لم يرض، وعى به أم لم يع

العقد الأول: عقد ما بين
طبيب (أو معالج) - طرف أول
- ومريض - طرف ثان -
الأول يرتزق ويمتهن مهنة
إنسانية (بالمرّة)، والثانى
يشكو من أعراض مرضية أدت
إلى أن يذهب إلى الأول
ويريد أن يتخفف منها

أما العقد الثانى: فهو العقد
الأعمق غير المعلن بين إنسان
وإنسان: الطرف الأول
(المعالج) يعيش مرحلة وجود
ناجحة نسبياً وبالتالي فله تصور
لأبعادها، وسلوكه إنما يمثلها
ويبررها حتى ولو ضعفت درجة
وعيه بها، والطرف الثانى
(المريض) يبحث عن مثل هذا
التصور

لا يوجد حد فاصل بين العقد
الأول والعقد الثانى، لأن
العقد الأول هو الديباجة
التمهيدية للعقد الثانى، ولأن
العقد الثانى هو الوسيلة
الفعلية لتحقيق أهداف العقد
الأول

إذا كان الأمر كذلك، وهو

المدرسة وهذا العلاج، وبهذا الإعلان يصبح العرض أميناً لو أسمىناه "صورة من الداخل/الخارج، وبالعكس..!

أما الاحتمال الثاني: فسوف يمنحنا صورة دفاعية كذلك، فهو لا شك خليط بين موضوعية محتملة - حسب درجة تطور الباحث نفسه وأمانته مع وجوده - وبين تحيز مضاد أكيد - هو في الأغلب مبرر انشاقه عن المدرسة.

أما الاحتمال الثالث: فخبرتي ومشاهدتي واطلاعي على الأبحاث التي يزعم أصحابها الموضوعية، ثم طبيعة مثل هذا العلاج ومحتواه، كل ذلك يجعلني أجزم أن مثل هذا الباحث المحايد ابتداء سرعان ما سيندرج خلال دفاعاته الخاصة تحت أحد الاحتمالين السابقين بدرجة أو أخرى، لأنه في مواجهة هذا النوع من التفاعل لا بد وأن يدافع أي باحث مغامر عن نوع وجوده ابتداءً، وإذا كنا قد أشرنا إلى أن الباحث قد هرب من هذا المأزق - مؤقتاً - بأن أعلن أنه إنما يبحث في آليات "العمليات" الجارية لا "تقييم النتائج"، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن ننفي أنه في نهاية الأمر، لا بد وأن يرتبط شرح هذه العمليات بتقييم النتائج، أو بتعبير آخر إن أبحاث النتائج ما هي إلا نتائج "العمليات الجارية" وليست شيئاً آخر.

ونخلص من هذه المواجهة الضرورية إلى إعلان واقع هذا البحث وهو أننا أمام "عرض وجهة نظر باحث تلميذ في ما يفعله معالج هو أستاذ له .. لا أكثر ولا أقل"، وهذا الإعلان إنما يعيد وضع الأمر في نصابه ولا ينقص حق التلميذ الباحث في أن يقول رأيه في حدود المستطاع..

أما موقفي الآن كمقدم لهذا البحث فهو أن أضيف للباحث وجهة نظري في كوني مادة البحث

.....

هذا ما سوف نعرضه الأسبوع القادم

- [1] يحيى الرخاوى (مقدمة في العلاج الجمعي (1) من ذكاء الجماد إلى رحاب المطلق) (الطبعة الأولى 1978)، (والطبعة الثانية 2019) منشورات جمعية الطب النفسي التطوري، والكتاب متاح في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى دار المقطم للصححة النفسية شارع 10، وفي مركز الرخاوى: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا بموقع المؤلف www.rakhawy.net وهذا هو

الرابط.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD251020.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقاً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2020 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار الثامن)

الشبكة تدخل عامها 20 من التأسيس و 18 على الوجود

20 عاماً من الضح... 18 عاماً من الإنجازات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الوجود: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

منحى كذلك، فإن درجة الوعي التي يتم فيها هذان الاتفاقان ضرورة لازمة لتأمين المسار، والتقليل من المضاعفات، وتأكيد الاختيار.

نخلص من هذه المواجهة الضرورية إلى إعلان واقع هذا البحث وهو أننا أمام "عرض وجهة نظر باحث تلميذ في ما يفعله معالج هو أستاذ له .. لا أكثر ولا أقل".

أما موقفي الآن كمقدم لهذا البحث فهو أن أضيف للباحث وجهة نظري في كوني مادة البحث

المجلة العربية " نفسانيات "

مجلة محكمة في علوم وطب النفس

على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=24&controller=category&id_lang=3

على شبكة العلوم النفسية العربية

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>

على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Ajpsn/>

*** **

بوسترالمجلة العربية " نفسانيات "

<http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.NafssaniatPubBr.pdf>

الفصل 2: من الكتاب السنوي الثامن للشبكة " 20 عاما من الكبح ... 18 عاما من الإنجازات "

الإنجاز الثاني: مجلات ودوريات في علوم وطب النفس

تحميل من " شبكة العلوم النفسية العربية

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetPart2.pdf>

تحميل من المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=290&controller=product&id_lang=3

ملفات الأعداد القادمة

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/Nafssaniat-NextTopics.pdf>

قواعد النشر- " المجلة العربية " نفسانيات "

www.arabpsynet.com/apn.journal/APNjournalNotice.htm

المجلة العربية " نفسانيات "

مجلة محكمة في علوم وطب النفس

ملفات الأعداد القادمة

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/Nafssaniat-NextTopics.pdf>

عدد 69 – شتاء 2021

الملف: التحليل النفسي والثقافة (الثقافة العربية بخاصة)

المشرف: ل. د. رياض بن رجب - د. مرسلينا شعبان حسن

mar-selena@hotmail.com

riadhbenrejeb@yahoo.fr

arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 2020-12-30

استهلال ودعوة لأثراء الملف

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocMarcelinaPsychoanalysis&Culture.pdf>

عدد 70 – شتاء 2021

الملف: النفس وعلومها من منظور الفكر الإسلامي

المشرف: د. حسينة زكراوي - علم النفس، الجزائر

soso.psy@gmail.com

arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 2021-02-29